

حلاوة العبادة

وعلامات قبولها

محمد بن عبد العزيز بن عبد الله الشويرخ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين, نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين... أما بعد: فحلاوة العبادة لها أسباب, ولقبولها علامات, والعلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله, له كلام عن ذلك في عددٍ من مصنفاته, وقد يسر الله لي فجمعتُ بعضه, مع مباحث أخرى تتعلق بالعبادة, أسأل الله الكريم أن ينفع بما جمعت, ويبارك فيه.

من أسباب لذة العبادة وحلاوتها:

سئل الشيخ: ما أسباب تحصيل لذة العبادة التي كان يجدها أمثالُ ابن تيمية رحمه الله؟ فأجاب ذلك فضل الله سبحانه وتعالى يُؤتيه من يشاء وله أسباب: منها : كثرة قراءة القرآن فإن كثرة قراءة القرآن تُلين القلب قال ابن عبد القوي رحمه الله: وواظب على درس القرآن فإنه يُلين قلباً قاسياً مثل جلمد

ومنها : أن يكون الإنسان قلبه دائماً متعلقاً بالله مُعرضاً عما سواه, مُتجنباً للقييل والقال, وكثرة السؤال, ومنها : أن يحضر قلبه عند العبادة بحيث لا يفكر ولا يوسوس, بل يكون قلبه حاضراً يتأمل ما يقول وما يفعل من عبادة الله عز وجل.

وقال الشيخ رحمه الله: تصور يا أخي يناجيك الله عز وجل وأنت في صلاتك, يسمعك من فوق سبع سموات, ويردُّ عليك, إذا قلت : { الحمد لله رب العالمين } قال الله تعالى : حمدني عبدي وإذا قال : { الرحمن الرحيم } قال الله تعالى : أنني علي عبدي, وإذا قال : { مالك يوم الدين } قال : حمدني عبدي, والتمجيد: التعظيم, فهل نشعُرُ ونحن نصلي بهذا ؟ ! الشكوى لله عز وجل, أكثرنا وأكثر أوقاتنا أننا لا نشعُرُ بهذا, نقرأ الفاتحة على أنها ركن لا تصح الصلاة إلا بها, لكننا لا نشعُرُ بهذه المعاني العظيمة أننا نُناجي الله عز وجل من فوق سمواته: [حمدني عبدي } من يشعر بهذا يجد لذة عظيمة للصلاة, ويجد أن قلبه استنار بها, وأنه خرج منها بقلبٍ غير القلب الذي دخل فيها به.

وقال رحمه الله: أنصحهم أن يتذوقوا طعم هذه الصلاة, يقوموا الليل حتى يذوقوا طعمه, ويذوقوا بذلك طعم الإيمان.

وقال رحمه الله: إذا شعر الإنسان بأنه مفتقر لربه فسيجد حلاوة العبادة

من علامات قبول العبادة:

قال الشيخ رحمه الله: قد تكون هناك علامات لمن تقبل الله منهم من الحجاج والصائمين والمتصدّقين والمصلّين, وهي انشراح الصدر, وسرور القلب, ونور الوجه, فإن للطاعات علامات تظهر على بدن صاحبها, بل هي ظاهره وباطنه أيضاً, وذكر بعض السلف أن من علامات قبول الحسنة: أن يُوفَّق الإنسان لحسنة بعدها, فإن توفيق الله إياه لحسنة بعدها يدل على أن الله عز وجل قبل عمله الأول, ومنَّ عليه بعمل آخر يرضي به عنه.

من أتى بالعبادة على الوجه المشروع فليستبشر خيراً:

قال الشيخ رحمه الله: الواجب على المرء إذا أتى بالعبادة على الوجه المشروع إخلاصاً لله ومتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم, أن يستبشر خيراً, وأن يقول: اللهم كما مننت عليّ بالعمل فامنن عليّ بالقبول, ولا ييأس, بل يفرح, وقد جاء في الحديث: (من سرته حسنته وساءته سيئته فذلك المؤمن) هذا شهادة من الرسول عليه الصلاة والسلام أن الإنسان إذا فعل الحسنة وسُرَّ بذلك وفرح وانشرح صدره, وإذا عمل سيئة اغتم لذلك, فذلك هو المؤمن بنص كلام الرسول عليه الصلاة والسلام

استشعار المرء أنه من حين يدخل في الإحرام إلى أن يحلَّ منه وهو في عباده:

قال الشيخ رحمه الله: ليعلم أنَّ المرء من حين يدخل في الإحرام إلى أن يحلَّ منه فهو في عباده, في ليله ونهاره, ونومه ويقظته, وقيامه وقعوده, فليشعر بذلك شعوراً تاماً, حتى يحصل له زيادة الإيمان, والرجوع إلى الله عز وجل, فإن ذلك من أهم الأمور التي ينبغي للإنسان أن يعتني بها.

العبادة التي تخفى حكمتها أبلغ في التبعّد:

قال الشيخ رحمه الله: جميع أوامر الشرع ونواهيها حكمة, ولا حاجة أن نعرف العلة, لأننا نعلم أن الله حكيم, وأنه ما شرعه إلا لحكمة, وما موقفنا من الأوامر والنواهي إلا أن نقول: (سمعنا وأطعنا), فإن تيسير لنا معرفة الحكمة فهذه منة من الله عز وجل, ومساعدة ومعونة من الله, حتى يطمئن القلب ويقوى الإيمان, وإن لم تتبين فالمؤمن يكفيه أن هذا حكم الله عز وجل ولذلك ربما تكون العبادة التي تخفى حكمتها أبلغ في التعبد, لأن الشيء إذا علمت علته قد يكون عقلك يأمرك به لكن إذا كنت لا تعرف العلة فإن تذلل لك الله به وعبادتك إياه أبلغ في التذلل.

عبادة الله بالهدى لا بالهوى:

قال الشيخ رحمه الله: ينبغي للإنسان أن يكون عنده فقه في دين الله, وأن يتبع ما جاء عن السلف... وألا يعبد الله بالهوى وإنما يعبد بالهدى, فاعبد الله بالهدى لا بالهوى, ولو أننا قلنا: إن الإنسان يعبد الله بالهوى, لكان أولئك أصحاب الطرق الذين ابتدعوا في دين الله ما ليس منه لكانوا على صواب, ولاختلف الناس فيما بينهم في دين الله, ولكن إذا قلنا: العبادة موقوفة على ما جاء به الشرع فحينئذ نتحد ويكون عملنا واحداً.

الصبر مع انتظار الفرج من أعظم العبادات:

قال الشيخ رحمه الله: الصبر مع انتظار الفرج يُعتبر من أعظم العبادات, لأنك إذا كنت تنتظر الفرج فأنت تنتظر الفرج من الله عز وجل, وهذه عبادة, وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: (واعلم أن النصر مع الصبر, وأن الفرج مع الكرب) فكلما اكرت الأمور فإن الفرج أقرب إليك, (وإن مع العسر يسراً)

من فوائد بسط الدعاء أنه عبادة, وكلما كررت الدعاء ازدادت لله تعبدًا:

قال الشيخ رحمه الله: مقام الدعاء يقتضى البسط, لأمر:
الأول: - وهو أهمها لمن فتح الله قلبه- التلذذ بمناجاة الله عز وجل, لأن كل واحد
منّا لو كان له صديق محبوب إليه فإنه يحب أن يبسط ويكثر معه القول, وإذا جلس
إليه وقاما يتحدثان تضى الساعات الطويلة وكأنها دقائق.
الأمر الثاني: أن الدعاء عبادة, وكلما كررت ازددت لله تعبدًا, فيزداد أجرك بازدياد
جمل الدعاء

الأمر الثالث: أن البسط والتفصيل يُوجب تذكّر الإنسان كل هذه الأنواع التي
بسطها وبينها وفصلها, واستحضار الإنسان لذنوبه تفصيلاً أكمل في التوبة, لأن
التوبة المُجملة لا تستوعب جميع الذنوب استحضاراً وإن كانت تستوعبها لفظاً
ومدلولاً, فمثلاً: لو قال الإنسان: اللهم اغفر لي ذنبي كلّهُ, وهو قد فعل ذنباً قد
تكون أكبر مما يتصوره الآن, لكن غابت عن باله, فإذا ذكر وفصل كان هذا أبلغ في
التوبة, لأن الدلالة على تعين الأفراد أقوى من الدلالة على العموم.

وقال رحمه الله: وانظر إلى قول الرسول عليه الصلاة والسلام: (اللهم اغفر لي ذنبي
كُلَّهُ, دَقَّهُ وِجَلَّهُ, علانيته وسرّه, وأوله وآخره, اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت,
وما أعلنت وما أسرت, وما أنت أعلم به مِنِّي) يكفي عن هذا كله أن يقول: (اللهم
اغفر ذنبي, لكن البسط له تأثير على القلب.

فتح أبواب الجنة الثمانية يعني تيسير العبادات المؤدية لها:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما منكم من أحدٍ يتوضأ فيسبغُ الوضوء, ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله, وأن محمداً عبد الله ورسوله, إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخلُ من أيها شاء) [أخرجه مسلم] قال الشيخ رحمه الله: ومعنى فتح أبواب الجنة الثمانية: أنه تيسير له أعمال هذه الأبواب. فتيسر له الصلاة, والصيام, والصدقة, والجهاد, وغير ذلك من الأبواب.

كتب الشيخ التي تم الرجوع إليها:

- تفسير سورة الأنعام
- تفسير سورة الزمر
- تفسير سورة غافر
- التعليق على صحيح البخاري
- التعليق على صحيح مسلم
- شرح مشكاة المصابيح
- فقه العبادات
- دروس وفتاوى من الحرمين الشريفين
- اللقاءات الشهرية
- لقاءات الباب المفتوح
- سؤال على الهاتف

كتبه / فهد بن عبدالعزيز بن عبدالله الشويرخ